دمعة فابتسامة

لحضرة الخوري رافائيل البستاني

في بيعة الله ليس النور يستترُ ... فما هوى قمرٌ إلّا علا قمرُ
وما مضى أسدٌ إلّا اتى اسدٌ ... وما ذوت زهرة إلّا زهت زَهَرُ
ان غاض منها معينٌ في ثرى ابدٍ ... تدفقت بالفرات المذب تنفجرُ
تلك الحظيرة عينُ الله تكلأها ... لا ذئبَ يغشى ولا ينتابها نُبُرُ
فالله فيها وعيناهُ تؤيدها ... فلا تؤرعها الأرزاء والغِيَرُ
وما دهتها من الأيام كارثةٌ ... الّا أتيح لها الإعجاب والظفرُ
ترنّح اليوم عطفاها وقد مرحت ... وكان بالامس صوبُ الدمع ينهمرُ
والعين قرّت وكاد الشجرُ يسئلها ... والقلب سُرَّ وقبلاً كاد ينفطرُ
داوى الاله كلوماً ضرّجت كبداً ... وشدّ عزماً عراهُ الوَهنُ والخَوَرُ

قضى فقيدُ العُلى نَحباً فصرعهُ ... خطبٌ جليل به عمّ الورى الحَذَرُ
قضى الجوادُ الذي انهلّت مكارمهُ ... كالسُّحب في كل اقطار لها أثرُ
سعَت شآبيب كفّيه بوبل ندًى ... أيامَ هولٍ ونارُ الحرب تستعرُ
ابٌ رؤوف همى من مقلتيه دمٌ ... لمّا رأى زهرَ الشّان تنتثرُ
طوى الليالي والافكارُ تقدمهُ ... حيث المآزقُ والاجنادُ تُحتضَرُ
كم قام متعباً والحزم شيمتهُ ... مؤنباً عاهلاً منه ورَى الشررُ
رسولُ سِلمٍ ابى الّا مجاهدةً ... فيما تخفُّ به الويلات والضررُ
فما اتاهُ فقيدُ الفضل من كرم ... وحُسن فعلٍ بماء التبر يُستطَرُ

كنيسة الله هذا النهجُ منهجها ... فالله يشهد والتاريخ والعُصُرُ
بُنانها سُحُبٌ آراؤها شُهُبٌ ... اقوالها قُضُبٌ اعمالها غُرَرُ
فالفضل دَينُها والله مَوردها ... وما لها غير كنز البرّ مدّخرُ
كم من كواكبَ في طيّاتها سطعوا ... يطأطئ الكونُ رأساً كلّما ذُكروا
ما من محامدَ في الدنيا ومأثرةٍ ... الّا نزاها بها تزهو وتزدهرُ

فهيَ السفينة تسري وهي آمنةٌ فالله ربانها ما راعها خطرُ
ترنو الى اللجّ والإعصار ساخرةً فالموجُ يُرغي فيَنْضي وهو مندحرُ
معاذَ ربّك ان ينسى سفينتهُ واليمُّ ملتطمٌ والجوُّ معتكرُ

اخلى المرينةَ ليثٌ فانبرى اسدٌ لم يُقضَ للذئب من أشبالها وَطَرُ
بالفاتكان أُسودُ العدل قد ربضوا فالويلُ للبغي والطغيان قد زأروا
فرومةٌ ملجأُ الدنيا ومَرجعها تنهي وتأمر والتيجانُ تأتمرُ
فانها كعبةُ الأقطاب قاطبةً والمورد العذب للظمآن والصَّدَرُ
تحني الملوك بها هاماتها وَرَعاً فالكِبْر فيها يُرى من طيبِ الصِغَرُ
اذا الفضيلةُ ابدى النورُ بهجتها يعثر لرونقها الصَّمصامة الذكرُ
متى تجلّى الهدى والفضل يُوكبهُ لانَ القناةُ وجاء البُطل يعتذرُ
كانا الفاتكان الفخمُ متّسعٌ فيهِ تبارى التقى والفضل والفِكرُ
تأجلَ السادة الاحبارُ فيه بما به تعزُّ وتلقى النبطةَ الأُسرُ
والشاهد العدل مَن قد هزَّ مصرعهُ ارضاً وكلُّ جريح القلب منكسرُ
لكنما الله يأسو الجرحَ بلسمهُ فالقلب بعد صدوع الحزن منجبرُ
عما الهناء عزاء حلّ فابتهجت منّا نفوس فزال الكرب والكدَرُ

دعوا التقيَّ عمَّن قد اتى خلفاً فلم يُقِمْهُ على كرسيّه بشرُ
من كان ربُّك يدعوهُ لبيعته فالله في فمه والقلب مستترُ
فمن رأى عركيًا ناسجاً شبكاً عنهُ القياصرُ في عليائهم قصروا
ثلَّ العروشَ عروشَ البغي من قِدَم وبأسهُ ضعفهُ والجهل والحَقَرُ
وكنزهُ قوله للمقتدين قفوا وامضوا وفوق ظهورٍ تُحتلُ السرُرُ
بالفاتكان اسيرُ حرِّ الأسرا بل الشعوب من استرقاق مَن بَطِروا
أما يرى صنع ربّ العرش ذو بصر ام الاشعّة عنها ينثني البصرُ
انت الصفا وعليها بيعتي انتصبت فلا يزعزعها دهر ولا زُمَرُ
فالله يحسن عن كفّي بمثله والله يرمي وذاك القوس والوَتَرُ
يا بيعة الله كفّي النوح وابتهجي فالله فيك الى ان ينقضي الدهر